بسم الله الرحمن الرحيم

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

د. خلدون نوري الهيتي

المرحلـــة : الرابعة

Article: Modern schools

مادة: المدارس الحديثية

The title of the lecture: Modern schools in terms of content and concept

عنوان المحاضرة : المدارس الحديثية من حيث المضمون والمفهوم:

المحاضرة الثالثة

سنطرح سؤالاً لعصف أذهانكم ولشحذ انتباهكم؛ ماذا نريد من دراسة المضمون للمدرسة؟ وكيف يكون ذلك ؟

من خلال النظر في أساسيات ما احتوته كتب التراجم، وتواريخ البلدان وغيرها من المصنفات التي تعنى بهذا الاتجاه ، وكذلك المصنفات الحديثية عموماً، قد ذكر مصنفوها ما يتعلق بالمحدثين وجهودهم في نشر السنة، كما أن اتجاه المعاصرين تحديداً قد صنفوا في المدارس الحديثية ، وأهم ما يمكن أن تحتويه مادة المدارس في المطالب الآتية :

المطلب الأول يتمحور حول : تحديد نوع الدراسة، وتطابق المحتوى مع المفهوم .

وهذا ينقسم إلى قسمين :

الأول منه : دراسات تناولت مدرسة الحديث في بلد معين ، من ذلك مدرسة الحديث في البصرة، ومدرسة الحديث في الشام، وغيرها من المدارس التي يحددها الدارس والتي تختص بمدرسة واحدة معينة لإظهار قيمها وخصائصها وما تتمييز به .

فهذه الدراسات ركزت بصورة عامة علة منهج هذه المدارس، ثم الشيوخ، والتلاميذ فيها، وأبرز الانتقادات الموجهة إليها إن وجدت .

ثانياً: دراسات تدور حول علم من أعلام تلك المدرسة المشهورين في بلد معين ، حيث يقوم البحث عن محدث مشهور نذكر أهم شيوخه وتلاميذه، ومكانته، وما هي جهوده العلمية، ورواياته

وأهم المصطلحات الخاصة به ، وهذا تحصيل حاصل سيكون المؤثر في المدرسة لما سينقل عنه تلامذته.

ويمكن القول أن هناك دراسات بهذا الخصوص ك(مدرسة البخاري في المغرب)[1]، حيث ذكر صاحب المؤلف عدداً من المراكز الحديثية المختصة بصحيح البخاري؛ والتي منها دار الحديث الحسنية، والرباطات، والزوايا وغيرها .

وأهم ما يمكن الوصول إليه في هذا الجانب التصنيف في مدارس الصحابة، مثل: مدرسة ابن عمر، ومدرسة السيدة عائشة، ومدرسة أبي هريرة، وغيرها من المدارس التي تناولت صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ما يتعلق بجهود هؤلاء الإعلام ، وهذا طبعاً في كل الأمصار .

ثالثاً: ويمكن أن نلحق ايضاً ما يتعلق بدراسة مدرسة فرعية من المدارس في بعض البلدان ، فمثلاً في بلاد الشام مدارس كثيرة تفرعت من المدرسة الأم ، النوريـة ، والأشرفيـة، والظاهريـة والناصريـة ، وغيرها ، وهذه وغيرها كلها تفرعت من (مدرسة الحديث في الشام) .

ويمكن إجمال ما قلناه من حيث المضمون :

١. الدراسة حول مدرسة في بلد معين ، دون غيره .
٢. دراسة حول علم من إعلامها من المشهورين في بلد معين .
٣. دراسات حول المدارس الفرعية المشتقة من المدرسة الأم .

ولكن نلفت انتباهكم على أمر مهم جداً ، إن الدارس يجب عليه أن يحدد العصر الذي يبحث فيه عن المدرسة ، إذ أن الحقبة الزمنية بالدراسة والتأريخ مهم جدا لتحديد المسار الذي ينطلق منه الدارس .

الفقرة الأخير التي يجب مراعاتها في هذا الموضوع وهو غاية في الأهمية ، ونضع له عنوان

بيان الضابط في عدّ الراوي من أهل المدرسة :

نقول وبه نستعين ، قد ينسب الراوي، أو المحدث الواحد إلى أكثر من بلد، **السؤال : فإلى أي مدرسة ننسبه ؟؟** .

فعلى سبيل المثال لا الحصر، الإمام الزهري هو حجازي وكما هو معلوم عندكم ، ولكنه رحل إلى الشّام، وله أثر فيهما معاً، وكما يظهر من ترجمته ، فهل ينسب إلى الحجاز، أو الشام ؟

وكذلك الإمام سفيان بن عيينة، فإنه نسب إلى الحجاز والكوفة معاً، وأثره في الحجاز أوضح، هذا لأنه ترك الكوفة صغيراً، لهذا نرى أن الدكتور شرف القضاة قد أدرجه في مشاهير حفاظ الكوفة، علماً أنه نقل قول ابن مهدي في أن سفيان كان أعلم الناس بحديث أهل الحجاز ! .

---

[1] - مدرسة الإمام البخاري في المغرب: ٤٠٤/١ .

ولكن الذي يبدو لي والله أعلم أن مدة بقاء الراوي في بلد معين مهما كانت هذه المدة التي بقاها في هذا البلد لا يدلل على أنه ينسب إليه مهما أطال المكوث فيه ، ولكن الذي يبدو أن الأثر الذي يؤثر في المدرسة ولدى تلامذتها هو الضابط بعينه لنسبة الراوي للبلد الذي ينتمي إليه ، فمثلاً نجد أن أنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ، ذكر ابن عساكر في تاريخه، أنه قدم دمشق أيام الوليد بن عبد الملك حين استخلف ، وقد روى عنه جماعة من أهل الشام، وأفادة برواية أخرى أنه قدمها ولم تذكر مدة إقامته فيها ، ولكن ذكر أغلب من ترجم له أن إقامته الدائمة حتى توفي كانت في البصرة[٢].

وربما يكون الراوي منسوب إلى بلد معين ، وتلامذته من بلد آخر، كابن عباس (رضي الله عنه) رحل إلى البصرة، وقد ولاه عليها علي (رضي الله عنه)، فأصبح لديه تلاميذ من البصريين، ولما رجع إلى مكة تخرّج على يديه طبقة كانت من أميز التابعين[٣] .

الآن أصبح واضحاً جلياً لنا ، بل من الضروري وحسب ما أراه هو أن ينظر إلى **تأثر** الراوي، أو المحدث بالبلد الذي نسب إليه، ما حجمه؟، فإن كان تأثّره أو تأثيره ظاهراً فلا بأس بنسبته إليه ، أو إلى مدرسة ذلك البلد ، ولا مانع من أن ينسب الراوي إلى مدرستين معاً، إن كان تأثره فيهما واضحاً من حيث الشيوخ، والتلاميذ ، والمنهج.

والحمد لله رب العالمين .

---

[٢] -تاريخ دمشق : ٩/ ٣٣٢ – ٣٣٦ .
[٣] - الوهم في روايات مختلفي الأمصار: ١٦٦ .